Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (36), (Sept 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد(9) ملحق العدد (36) (سبتمبر 2025)
ردمد: 3014-6266

# التاريخ السياسي للنظرية الماركسية

**علي سعد مسعود**
**جامعة غريان- كلية الآداب / الاصابعة**

التاريخ السياسي للنظرية الماركسية

تاريخ الاستلام:2025/8/23 –تاريخ المراجعة: 2025/9/24– تاريخ القبول: 2025/10/4– تاريخ للنشر: 10/10/ 2025

**ملخص بالعربية:**

أن الشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه، فالتاريخ هو مجمل الخبرة الإنسانية في الحضارة والثقافة والمدينة، فالحضارة سياسةً وأخلاقًا وتشريعًا هي القوة التنظيمية في التاريخ، والثقافة علمًا وأدبًا وفنًا هي قوة التاريخ الإبداعية، والمدينة زراعةً وصناعةً وعمارةً هي القوة المادية السلعية في التاريخ، والواقع أن ولع الإنسان بمعرفة ما حدث في الزمن الماضي قد ارتبط بالتطلع لا إلى ما حدث فحسب، وإنما لماذا حدث وكيف حدث؟ ففكرة التاريخ عند أية جماعة إنسانية ليست في حقيقة أمرها النقدية سوى شكل من أشكال فهم هذه المجموعة لهويتها الذاتية، كما أن تطور المعرفة التاريخية قد ظل متصلاً بتطور المعرفة البشرية عامةً والمعرفة العلمية خاصةً .

وقد ارتبط التاريخ بالزمن ارتباطًا كبيرًا وبشكل أساسي، وقد علق فريديريك هيقل ذلك الارتباط إلى أن ميدان التاريخ الأساسي هو الحياة في امتدادها الزمني على الأرض وقد اختلفت تصورات المؤرخين ونظرتهم للزمن التاريخي، وتعددت نظرياتهم فيما يتعلق بتقديم وجهة نظرهم عن مسار هذا الزمن ككل، وأشهرها القول بتحقيق إرادة الله كما هو عند القديس أوغسطينوس، أو التطور نحو المجتمع الحر كما هو عند فريدريك هيقل، أو تحقيق مجتمع اللاطبقات كما عند كارل ماركس، أو الدورة الحضارية كما هو عند عبد الرحمن بن خلدون، وباتيستا فيكو، وأوزفالد اشبنجلر، وأرنولد توينبي، وغيرها من النظريات الأخرى.

**ملخص بالإنجليزية**

History is the sum total of human experience in civilization ،culture ،and the city. Civilization in terms of politics ،ethics ،and legislation is the organizational force of history ،culture in terms of science ،literature ،and art is the creative force of history ،and the city in terms of agriculture ، industry ،and architecture is the commodity material force of history ،In fact ،the human fondness for knowing what happened in the past has been associated with the aspiration not only to know what happened ،but also why and how it happened. The idea of history for any human group is in fact a form of this group's understanding of its own identity ،and the development of historical knowledge has remained connected to the development of human knowledge in general and scientific knowledge in particular.

Frederick Hegel commented that the basic field of history is life in its temporal extension on earth. Historians have differed in their perceptions of historical time ،and their theories have varied with regard to presenting their view of the course of this time as a whole ،The most famous of them are the realization of the will of God ،as in the case of St. Augustine ،the evolution towards a free society ، as in the case of Friedrich Hegel ،the realization of a classless society ،as in the case of Karl Marx ، or the civilizational cycle ،as in the case of Abd al-Rahman Ibn Khaldun ،Battista Vico ،Oswald Spengler ،Arnold Toynbee ،and many others.

Translated with DeepL.com (free version) .

## المقدمة

التاريخ مرآة الأمم يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، لذا كان من الأهمية بمكان الاهتمام به، والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحًا، بحيث يكون نبراسًا وهاديًا لهم في حاضرهم ومستقبلهم، فالشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه، فالتاريخ هو مجمل الخبرة الإنسانية في الحضارة والثقافة والمدينة، فالحضارة سياسةً وأخلاقًا وتشريعًا هي القوة التنظيمية في التاريخ، والثقافة علمًا وأدبًا وفنًا هي قوة التاريخ الإبداعية، والمدينة زراعةً وصناعةً وعمارةً هي القوة المادية السلعية في التاريخ، والواقع أن ولع الإنسان بمعرفة ما حدث في الزمن الماضي قد ارتبط بالتطلع لا إلى ما حدث فحسب، وإنما لماذا حدث وكيف حدث؟ ففكرة التاريخ عند أية جماعة إنسانية ليست في حقيقة أمرها النقدية سوى شكل من أشكال فهم هذه المجموعة لهويتها الذاتية، كما أن تطور المعرفة التاريخية قد ظل متصلاً بتطور المعرفة البشرية عامةً والمعرفة العلمية خاصةً.

لذا تطرق هذا البحث إلى إحدى النظريات السياسية في محاولة منه للاقتراب من الفهم الفلسفي للقضايا التاريخية ولإبراز السنن التي تتحكم في قيام الدول والحضارات، والعوامل التي تؤدي إلى سقوطها وانهيارها، لذا جاء التركيز على النظرية الماركسية لتحديد المسار التاريخي بشموليته، بما يعني عرض الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى ظهور أنماط معينة في حركة التاريخ، واكتشاف القوانين المتحكمة في ذلك، ومن ثم إمكانية التنبؤ بسير المستقبل البشري.

يحاول هذا البحث أن يضيف إلى البحوث التاريخية دراسة قيّمة أخرى، واجتهادًا جديًا وجديدًا، فالبحوث في ميدان التاريخ لم تتوقف ولن تتوقف، نظرًا لارتباطها بحاضر البشرية ومستقبلها، كما أنها ستظل دائمًا مثار للجدل والخلاف مادامت الحياة مسرحًا للأحداث والوقائع ومرتعًا للمتغيرات، لذا فإن هذا البحث سيلقي الضوء على النظرية الماركسية تلك النظرية التي ظهرت مع حلول القرن التاسع عشر، وبفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي شاهدتها أوروبا، وهذا ما دفع الكثير من المؤرخين وفلاسفة التاريخ إلي التفكير في مفهوم التاريخ ، فظهرت تفاسير جديدة للتاريخ الذي توسع مفهومه وأصبح أكثر شمولية، بعدما كان محدود النظرة والمنهج، كما ظهرت نظريات واتجاهات تاريخية متعددة، لعل أهمها، النظرية الماركسية، حيث ظهرت الماركسية كمذهب وتيار فكري في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوربا، وسميت كذلك نسبة لمؤسسها كارل ماركس، حيث استوحى نظريته من التراث الفكري آنذاك والذي عاصر فيه الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية، حيث كانت نظريته مادية بحثه بعيدة عن الميتافيزيقة والمثالية، وتدور حول ملكية الأفراد لوسائل الإنتاج التي تملكها الطبقة الرأسمالية، وطبقة البروليتاريا (العامة) الكادحة وتطور المجتمع من طبقة إلى أخرى حيث لا يتم هذا التحول إلا بوجود الصراع بين هذه الطبقات كما وضع قوانين جدلية، وتاريخية، وأتخذها كمنهج لنظريته، حيث كان يطمح إلى قيام مجتمع شيوعي.

وتعد قلة الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع بإسهاب من أهم الأسباب التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع، أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو المنهج السردي القائم على تحليل النصوص وتوضيحها، وعرض آراء المؤرخين والباحثين ومقارنتها للوصول إلى الحقيقة التاريخية باستخلاص نتائج محددة.

وانطلاقًا من هذا الهاجس، يحاول هذا البحث ترميم إحدى الثغرات في الدراسات التاريخية متوخيًا من ذلك تقديم مساهمة متواضعة لفهم النظريات السياسية وأهميتها في علم التاريخ، وسيتم التركيز على النظرية الماركسية لأنها بحاجة ماسة إلى الاستقصاء والبحث من وجهة نظر المؤرخين والسياسيين والتربويين والبحاث.

تكمن أهمية البحث في إلقاء الضوء على النظرية الماركسية من خلال الإجابة عن العديد من التساؤلات منها: من هو كارل ماركس؟ وما هي أهم أعماله؟ وما هي الظروف التي أعانت ماركس على وضع نظريته؟ وما هي مبادئ النظرية الماركسية؟ وأخيرًا ما هي الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية؟

وفي ضوء ما توفر من مادة تاريخية فقد ركز البحث على النقاط التالية:

. نظرة المؤرخين وقادة الفكر للزمن.

. كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ.

. عوامل ظهور الماركسية:

. نظرية كارل ماركس حول الصراع الطبقي.

. الماركسية والتاريخ.

. الماركسية والمعرفة.

. مبادئ وقوانين النظرية الماركسية.

. فكرة التقدم في المادية التاريخية.

. الماركسية والتاريخ الحديث ..

. تقييم النظرية الماركسية.

**نظرة المؤرخين وقادة الفكر للزمن التاريخي:**

ارتبط التاريخ بالزمن ارتباطًا كبيرًا وبشكل أساسي، وقد علق فريديريك هيقل ذلك الارتباط إلى أن ميدان التاريخ الأساسي هو الحياة في امتدادها الزمني على الأرض (فرديريك، صفحة 39)، وقد اختلفت تصورات المؤرخين ونظرتهم للزمن التاريخي، وتعددت نظرياتهم فيما يتعلق بتقديم وجهة نظرهم عن مسار هذا الزمن ككل، وأشهرها القول بتحقيق إرادة الله كما هو عند القديس اوغسطينوس، أو التطور نحو المجتمع الحر كما هو عند فريدريك هيقل، أو تحقيق مجتمع اللاطبقات كما عند كارل ماركس، أو الدورة الحضارية كما هو عند عبد الرحمن بن خلدون، وباتيستا فيكو، واوزفالد اشبنجلر، وأرنولد توينبي، وغيرها من النظريات الأخرى (فؤاد، 2006م، صفحة 39).

فقد أكد القديس أوغسطينوس في عمله الكبير على المفهوم الإلهي للزمن في كتابه "مدينة الله" وقد أدان بشدة الزمن الدنيوي الإغريقي ذو المسار الدائري، كما ارجع سقوط الدولة الرومانية إلى الانتقام الإلهي، إلا أن هذه الرؤية قد تعرضت إلى انتقادات كبيرة في القرن السادس عشر الميلادي، نتيجة التحولات التي أفرزتها النهضة الأوربية، فقد شهدت هذه الفترة صراعًا مريرًا بين الكنيسة الكاثوليكية وبين قادة الفكر أنصار الحركة الإنسانية، الذين عارضوا التصور الكنيسي المسيحي الضيق للتاريخ، وفي مرحلة عصر التنوير خلال القرن الثامن عشر الميلادي بدأ الاهتمام أكثر بالتاريخ، واعتبر مظهرًا من مظاهر الاهتمام بالإنسان، حيث بدأ تمجيد العقل وتمت معارضة الفكرة المسيحية في التاريخ بشكل نهائي، وبدأت فكرة الدفاع عن قوانين التاريخ (عفت، 1985م، صفحة 232).

**كارل ماركس والتفسير المادي للتاريخ:**

وبعد أن أتم ماركس دراسة الثانوية في مدينة ترير دخل جامعة بون ثم جامعة برلين ثم في فينا فدرس الحقوق وبنوع خاص التاريخ والفلسفة . وأعتبر ماركس واحد من أكثر فلاسفة العصر تأثيرا ، (كوثراني، 2012م، صفحة 179) وتأثر بالفلسفة المادية الألمانية التي كانت سائدة في زمنه كما كان سياسياً وصحفياً ومنظر اجتماعي ،حيث تأثر ماركس بهيجل ألا أنه جعل أساس جدله الواقع المادي وليس الأفكار كما هو عند هيجل، فاعتمده عن هيجل في المجلات الآتية : الناحية النظرية : وهي فلسفة الديالكتبك والتطور التاريخي التي يشرح على أساسها هيجل تطور الفكر والروح والوعي والتقدم خلال التاريخ ، وانتقال الحضارة من شعب إلى شعب ومن عصر إلى عصر. الناحية التقنية الصناعية: ونقصد بذلك تطور الصناعة في أواخر القرن التاسع عشر، وإدخال المحرك البخاري على المصانع، وبروز الرأسمال كقوة فاعلة في الصناعة والتجارة والحياة الاجتماعية والعلاقات بين الدول. هذان العاملان، النظري والعملي ، هما أساس الفلسفة التاريخية الماركسية. (الحسن، 2005، صفحة 45) كما تأثر ماركس بكل من الاقتصاد الانجليزي الذي ساد إنجلترا بعد الانقلاب الصناعي، والذي أسسه أدم سميث ودافيد ريكاردو اللذان أثارا نظرية القيمة في العمل، والمذهب الاشتراكي الفرنسي الذي أسسه أدم سميث ودافيد ريكاردو اللذان أثار نظرية القيمة في العمل وتأثر ماركس كذلك بالمذهب الاشتراكي الفرنسي في حينه لقد كان ماركس فيلسوفاً ومفكراً مادياً، وألف مع زميله فردريك انلجز، مجموعة من الكتب شرحا فيها أفكارهما ويعدان أول المؤسسين للشيوعية الحديثة التي بدأت من ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، (ناصر، 2004م، صفحة 323) ثم تابعها في نفس الاتجاه لينين وغيره من مفكري المادة أو الماركسية أو الشيوعية الحديثة في القرن العشرين، وهو صاحب مقولة "الدين أفيون الشعوب" لأن الدين لا يشجع الفكر الحر الذي ينتج بل يبقهم دون طموح للتقدم والتغيير . لقد كان كارل

ماركس فيلسوفاً وعالماً اقتصادي واجتماعي ومؤرخ . وهو يرى أن البنية التحتية للمجتمع تشمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية وتشكل الأعمدة التي تحمل كل الإنتاج الفكري . أما البنية الفوقية فهي انعكاس للبنية التحتية والمكونة من نمط تفكير المجتمع وفلسفته وفنونه وأخلاقه وعلومه ومؤسساته السياسية. وهناك تفاعل بين البنيتين. ولقد ساهم ماركس في ظهور وتطور العلوم الاجتماعية، وقد كرس ماركس حياته لفحص ودراسة الإنسان وعلاقته مع المجتمع ، وبين أن هذا الإنسان قابل للتغيير والتحول ، فليست هناك طبيعة إنسانية ثابتة أو مطلقه يندرج تحتها جميع الناس . (جعنيني، 2004م، صفحة 253) وفي سنة 1845 طرد ماركس من باريس لكونه ثوريا خطرا بناء على طلب الحكومة البروسية . فجاء إلى بروكسل وأقام فيها . وفي ربيع 1847 أنتمي ماركس وانجلس إلى جمعية سرية للدعاية (( عصبة الشيوعيين )) وقام بدور بارز في المؤتمر الثاني لهذه العصبة المنعقد في لندن ، وبناء علي تكاليف المؤتمر وضع ماركس وانجلس (( بيان الحزب الشيوعي )) المشهور الذي نشر في 1848.ثم طرد ماركس من بلجيكا فعاد إلى باريس ليتركها بعد ثورة قامت فيها ليعود إلى ألمانيا، ثم عاد إلى لندن حيث عاش فيها حتى أخر أيامه.

**أهم أعماله.**

1 . البيان الشيوعي: الذي أكد فيه أن تاريخ المجتمعات ما هو ألا تاريخ صراع طبقي بين المظلومين والظالمين ، منتقد البرجوازية في استغلالها للعمال . ووجه فيه دعوة صريحة للعمال في العالم كله إلى الثورة وانتزاع السلطة ، وإنشاء الدولة الاشتراكية أو الشيوعية ، ولهذا تعتبر كل كتبه أسساً للعمل عند أتباعه (مؤنس، 1984م، صفحة 124) البيان الشيوعي كان يمهد لعقيدة الاشتراكية العلمية ويجسد المادية التاريخية بعيدا عن الكنيسة أو الدين باعتقاد ماركس. 3 . رأس المال: وهو من أهم مؤلفاته وأكثرها شيوعاً، حيث جمعت مؤلفات كارل ماركس في مجلد رأس المال، و ربط تكوين رأس المال بالقيمة المضافة الناتجة عن علاقات الإنتاج ولم يجعله يقتصر على حالة تراكمية جامدة .لقد ترجم الكتاب إلى مختلف اللغات وتناوله العلماء بالنقد. ومما يلفت النظر أنه ظهرت له ترجمة روسيا طيبة في سان بطرسبرج 1872 أي بعد خمس سنوات من ظهوره بالألمانية ؛ ونفذت النسخ المطبوعة كلها وعددها ثلاثة ألاف في فترة وجيزة ،وذلك في روسيا القيصرية التي يحدثنا التاريخ أنها كانت دولة استبدادية رجعية وغير ذات نظام ديمقراطي أو دستور مستنير . وصدر الجزء الأول من كتابه ((رأس المال)): نقد للاقتصاد السياسي 1867م وقد وجه الكثيرون من الاقتصاديين والعلماء بالنقد والتحليل، وبرغم ما تعرض له من تأييد أو استنكار إلا أن النظرية التي صاغها المؤلف اعتبرها الجميع فتحاً جديداً وثورة جديدة في عالم الفكر. وتنحصر القيمة العلمية لهذا البحث في الكشف عن القوانين الخاصة التي تنظم نشأة نظام اجتماعي معلوم ووجوده وتطوره وفناه وحلول نظام أخر ارقي منه . وفي سنة 1872 ظهرت الطبعة الثانية مصدرة بمقدمة عرض فيها المؤلف لبعض ما قيل في الكتاب . ولكن لم يمتد به العمر ليتمتع بلذة إعداد الطبعة الثالثة إذ في 14 مارس من عام 1883 مات ذلك المفكر الجبار. (ماركس، 1947م، صفحة 124) **وفي هذا الكتاب يقدم** ماركس نظريته كاملة عن طبيعة رأس المال والنظام الرأسمالي، ويظهر كيف أنه نظام هدام يخرب نفسه بنفسه. (مؤنس، 1984م، صفحة 124)

4 . كتاب : نقد فلسفة القانون عند هيجل 1843. الذي برهن فيه أن الدولة لا تحدد المجتمع المدني ، بل إن المجتمع المدني هو الذي يكون الدولة . (كوثراني، 2012م، صفحة 180)

5 . مقدمة نقد الاقتصاد السياسي 1859 حيث يشير فيها إلى نمط الإنتاج الأسيوي، حيث تكون علاقة إلا نتاج متوسطة بالدولة .

6 . مبادئ نقد الاقتصاد السياسي 1858. يتحدث فيها عن (( الجماعة القبلية )) والتي تظهر في ظروف الاستخدام العام للأرض . (كوثر ، 2012م، صفحة 185)

4 . العائلة المقدسة 1845.

5 . الإيديولوجية الألمانية عام 1846.

**عوامل ظهور الماركسية:**

يمكننا القول بأن الظروف التي أعانت كارل ماركس على وضع نظريته كانت ظروفاً سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وفكرية، سادت في عصره وعاشها في بداية حياته مثل:

-التناقضات التي جاء بها تطور النظام الرأسمالي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر بين طبقة الملاك الرأسماليين وطبقة العمال الكادحين.

-التطور الكبير الذي قطعه علم الطبيعة خلال القرن التاسع عشر، فقد كف هذا العلم (الطبيعة) عن دراسة الأشياء والوقائع منفصلة عن بعضها البعض، وتحول إلى علم نظري يسعى إلى تفسير هذه الوقائع، وإيضاح الصلة بينها على أساس ديالكتيكي ، وقد ساعدت النظريات والاكتشافات الكبرى في علم الطبيعة إبان القرن التاسع عشر على تشكيل النظرة المادية الجدلية إلى الطبيعية، كاكتشاف بقاء الطاقة وتحولها، ونظرية تركيب الكائنات الحية من خلايا، ونظرية داروين التطورية

- الفقر الحاد و الأوضاع المزرية التي كان يعيشها عامة الناس ماعدا قلة منهم

-الاضطهاد الكنسي الذي كان يمارس شتى الضغوط على المجتمع الأوروبي . (الزبيدي، 2006م، صفحة 98)

**نظرية كارل ماركس حول الصراع الطبقي:**

يعد كارل ماركس مؤسس اتجاه الصراع الذي هو أحد الاتجاهات الأساسية في النظرية الاجتماعية. ومن التفاصيل النظرية الماركسية التي لازالت موضع جدل بين مفكري الماركسية أنفسهم ، هو قولهم بأنه لا توجد مصالح مشتركة بين الطبقات المتصارعة ، ويرى ماركس أن كل مذهب من مذاهب التنظيم الاجتماعي تمثله طبقة معينة ، فالنظام الإقطاعي يمثله الملوك والأشراف ، والنظام الرأسمالي يمثله المقاولون ورجال الإعمال والوسطاء ،والنظام الاشتراكي يمثله العمال ، ولا توجد مصلحة مشتركة بين هذه الطبقات ، ومن ثم فهي لا تستطيع أن تتعايش ، والصراع بينها ينبغي أن يكون حاسم النتيجة ، فلا يتوقف حتى تموت الطبقة القديمة تماماً. (مؤنس، 1984م، صفحة 134)

والسبب في هذا الصراع هو صراع قائم على المصالح بين الطبقات الاجتماعية التي اعتبرها ماركس تناقضات داخلية تظهر في المجتمع و تنسجم أساسا من تأثير علاقات الإنتاج على حياة الناس والتي تؤثر على طريقة تفاعلها، فالطبقات المالكة لوسائل الإنتاج تكون قادرة على استغلال الطبقات الأخرى لصالحها ومن جهة أخرى أن الطبقات التي يقع على كاهلها نتائج الاستغلال مهتمة بإحداث تغييرات أساسية في هذا النظام، لتضع حدا لاستغلاله إذا أصبح لدى تلك الطبقات وعي كافي وتصبح الثورة لا مفر منها، ومن نتائج هذه الثورة المزيد من التقدم التكنولوجي الذي لم يكن من قبل.

لا بد لنا من العودة إلى أسس الفلسفة الماركسية ، لفهم الصراع الطبقي وتاريخه وتحوله ، والاتجاهات الجديدة التي أطلقتها الماركسية .

1. التاريخ هو تاريخ الصراع بين الطبقات العديدة في المجتمع ، في القديم والحديث معاً .
2. اعتماد فكرة الوعي التي قال بها هيجل ، ونقلها من مستواها الميتافيزيكي إلى المستوى العمالي : على كل عامل أن يعي وضعه وحالته وحقوقه.
3. أن أهمية هذا الوعي الاقتصادي، وللحالة التي يعيشها العمال ، يجب أن لا تبقي على المستوي النظري ، أي محصورة بحدود المعرفة. بل يجب أن تتحول إلى قوة فاعلة في واقع الحياة والمجتمع ، لتغيير الواقع وإعطاء العمال حقوقهم.
4. ولكن هذا التحول للأفكار إلى واقع ، لا يتم بنظر الماركسية إلا بواسطة أمرين : الأول يكون في تكتل العمال وتحويلهم إلى قوة عديدة عظيمة وفاعلة والثاني : هو أطلاق الثورة ، واستعمال العنف لقلب المجتمع ، وقلب النظام ، والسيطرة على وسائل الإنتاج، وأخذ مكان الرأسماليين ، ونقل المجتمع العمالي بكامله من الحالة الرأسمالية إلى الحالة الاشتراكية .
5. ولذلك فالثورة تحول الطبقة العامة إلى طبقة حاكمة ، بعد أن كانت طبقة محكومة . وهذا ما يسمح لطبقة العمال برفع الظلم عنها ونيل حقوقها ، وتوزيع الثروة والسيطرة على كل مؤسسات الدولة والسيطرة أيضاً على وسائل الإنتاج بما فيها المصانع والآلات والرأسمال والمناجم وطرق الموصلات ووسائل النقل .

ولا يهم هذا العمل الثائر ، الكلفة المادية وإراقة الدماء والضحايا المهم أن تصل الطبقة العامة إلى سدة الحكم . وهكذا يكون ماركس قد جسد على صعيد اقتصادي وطبقي، ناحيتين هامتين من الفلسفة الهيغلية : الديالكتيك الذي هو التناقض التاريخي والصراع المستمر ، وعلاقة السيد بالعبد بعد تحول العبد إلى سيد على السيد وجعل السيد عبداً للعبد. (سبيتي، 2012، صفحة 49 . 50)

**الماركسية والتاريخ:**

يرى ماركس أن التاريخ تحكمه قوانين يدركها العقل الإنساني، وهذه القوانين حتمية، أي أنها تفرض نفسها لأنها ناتجة عن حركة التاريخ نفسه، وإذا أدرك الإنسان هذه القوانين استطاع أن يقرر صورة مستقبل الجماعة الإنسانية، وهذه القوانين ليست مثل قوانين العلوم البحثية، وإنما هي حقائق متعلقة بطبيعة العمل والإنتاج، وطريقة توزيع الثروة بين المواطنين، فالثروة تنتج عن العمل، والعمل يقوم به من يعملون بأيديهم أو بعلمهم ومواهبهم، فلا بد أن تعود ثمرته حتماً على أولئك العاملين أنفسهم، فإذا استولي عليها منهم غير العاملين من أصحاب السلطة أو الطبقات غير المنتجة كالأشراف ورجال الدين والوسطاء التجاريين والمضاربين ، أختل توازن المجتمع وأصبح من الضروري إعادة التوازن إليه إما عن طريق ثورة هادئة تتم شيئاً فشيئاً بفضل أدرك أصحاب السلطان لطبيعة الأشياء (( كما في أنجلترا )) أو عن طريق ثورة عنيفة تحطم نظام المجتمع القائم وتقيم محله نظاماً جديداً (مؤنس، 1984م، صفحة 125 . 126)

هذه النظرية تعد العامل لاقتصادي محور حركة التاريخ وتفسيره ورغم أنها لا تضعف من أهمية العوامل ألأخرى . لقد سبق ماركس في الكتابة عن هذه النظرية عدد من المؤلفين والكتاب ، وأكدوا على مسألة التعليل الاقتصادي والمادي للتاريخ (الزبيدي، 2006م، صفحة 98) لقد نفا كارل ماركس من خلال مدرسته، التفسيرات المبكرة للتاريخ، سواء تلك التي كانت ترى أن التاريخ يسيره العدل المطلق، أو الزعماء والأفكار المثلي. وإنما ركزت على أن هناك عامل ثالث أجدر بالاهتمام وهو العامل الاقتصادي، لأنه العامل الذي تسلط على سير العوامل الأخر. وقد نشر كارل ماركس هذا الرأي في عدة أبحاث دعا من خلالها إلى أحداث ثورة اشتراكية تنفذ أفكاره. ويرى ماركس أن التاريخ يحكمه قوانين حتمية مصدرها حركة التاريخ ذاته، وما سموه بالحتمية التاريخية.

ويرى ماركس أيضاً أن الوضع الاقتصادي للمجتمع هو الذي يحدد صور نظامه، ودرجة حضارته وثقافته. وأن الإنتاج ونوعه وأساليبه هو أساس النظام الاقتصادي وأن الإنتاج لا يظل على أسلوب واحد ومستوى واحد، بل دائم التطور، ولكن ببطيء. ومن هذا التطور يخرج تطور المجتمع، سواء من ناحية قوانينه، أو أفكاره، أو فنونه، أو عقائده. وأن الإنتاج المادي لأي جماعة هو الذي يحدد مفهوم نظامها الاجتماعي والسياسي. وأن كل ما يلحق بالمجتمع سواء من ثورات أو انقلابات سببها أوضاع العمل والإنتاج والملكية. وأن النظام السياسي القوي يقوم على نظام اقتصادي راسخ ومتين، أي أن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر الذي يحرك العامل السياسي ويتحكم فيه. (الناصري، 1982م، صفحة 37) ويؤكد ماركس أن الأحوال أو الأوضاع الاقتصادية لأي جماعة هي التي تحدد صورة نظامها وكل مظاهر حضارتها ، فإذا أردنا أن نفهم نظام أي مجتمع ونظامه السياسي ، أو حتى طبيعة حقيقته الدينية وإنتاجه الفني والفكري ، فلننظر أولاً إلى نظامه الاقتصادي . وأساس النظام الاقتصادي هو الإنتاج ونوعه وأساليبه وطريقة استعمال أو توزيع ثمراته ، والإنتاج نفسه، أي للوضع الاقتصادي دوراً مهماً مهما كان بطيئاً .وتطوره هذا هو الذي ينتج عنه تطور المجتمع الذي يقوم عليه وكل نظمه وقوانينه ، وما يقوم على ذلك كله من أفكار وعقائد وأدأب وفنون. (مؤنس، 1984م، صفحة 127)

ومن ثم يكون على باحث الظواهر التاريخية في المجتمع أن يفتش عن البواعث الاقتصادية الكامنة وراءها خاصة في عصرنا الحاضر ، حيث يلعب الاقتصاد وأساليب الإنتاج دوراً أساسياً، ولكن الماركسيون يرفضون فكرة الإصلاح التدريجي للمجتمع ، بحجة أنه لا يؤدي إلى نتيجة حاسمة ، بل أن الصراع يجب أن يكون شاملاً وحاسماً عن طريق الثورة ، التي تقضي على القديم تماماً ، وأن ألام الثورة وكوارثها هو الثمن الذي يجب أن يدفعه المجتمع من أجل التغيير الشامل ، حتى وأن كان العنف وسيلة ذلك . وأن الصراع لن ينتهي إلا بفرض دكتاتورية الطبقة العامة.

لقد أنتقد كثيراً من المؤرخين الماركسية ونظريتها في الثورة الشاملة والعنف الثوري ،لأنه في كثيراً من البلدان نجحت فكرة الإصلاح التدريجي الهادي ، ووفرت على هذه المجتمعات الكثير من دما الثورة وخرابها ، بل أن هذا النقد جاء من الماركسيين أنفسهم فيما يعرف بالماركسية الجديدة ، أو الاتجاه الجديد للماركسية .كما أنتقد آخرون فكرة العامل المادي أو الاقتصادي في التاريخ ، ويقولون

أن العامل السياسي هو الأقوى والأرسخ ، وأنه أذا كان العامل السياسي راسخاً وقوياً ، فان الاقتصاد فيه يكون راسخاً وقوياً ، وليس العكس. (الناصري ا.، 1982م، صفحة 37 . 38)

**الماركسية والمعرفة:**

يعتبر ماركس أن الإنسان صانع لتاريخه ،وأن البيئة المادية هي الإطار الذي يمارس فيه الإنسان نشاطه ولا يتجاوز حدوده. فالعوامل الاقتصادية هي التي تصنع للمجتمع وأفراده وهي بدورها تؤثر على فكره ورغباته ، ولا يؤمن ماركس بكون المعرفة عبارة عن مجرد تأمل عقلي يطلب لذاته ، لأنها تأتي عفوياً كأثر للعقل حين يقوم بوظائفه الطبيعية في التأمل والتفكير ، بل هي وليدة النظم القانونية والمذاهب الأخلاقية التي يعيش في إطارها الإنسان ، وتأثير التربية والتعليم اللذين تلقاهما في حياته وهذا مرهون بالظروف الاقتصادية التي تكشفها وتتحكم فيها (جعنيني، 2004م، صفحة 256 . 257)

**مبادئ وقوانين النظرية الماركسية:**

هذه الفلسفة عبارة عن نظام من الآراء والأفكار يصور العالم المحيط بالإنسان وقوانين تطوره وطرق معرفته وعن مكان الإنسان فيه ، إذا كان قادراً على معرفة الواقع وتغييره وأسباب تغيير الحياة الاجتماعية وحتمية الانتقال إلى الاشتراكية العلمية ، التي تؤكد أنها لا تستطيع أن تؤدي دورها ألا بشرط اتخاذ موقف خلاق منها مع المراعاة الصارمة للظروف التاريخية المحددة التي تعمل في ظلها قوانين هذه الفلسفة ومبادئها والتي عممت انجازات العلوم والنشاط العلمي للبشرية فصاغت منهجها الخاص للمعرفة وهو الجدل (( الديالكتيك )) المادي . وكلمة الدلكتيك كلمة يونانية الأصل كانت تطلق في العصور القديمة على فن الجدل والنقاش للوصول إلي الحقيقة بكشف المتناقضات في حجج الخصوم . وفيما بعد أصبح الجدل منهجاً لمعرفة الواقع والذي يستند إلى انجازات العلم والخبرة الاجتماعية التاريخية معتبراً الحركة والتجدد واضمحلال القديم وميلاد الجديد مبادئ أساسية حيث لا يوجد شيء مطلق أبدي، وأن الحركة والتطور هما مصدر التناقضات الداخلية اللازمة للأشياء والظواهر، وترى أن الانتصار الحتمي للجديد.

ومادة الفلسفة الماركسية هي المادة الجدلية والمادة التاريخية، وتعتبر المادة الجدلية مادية لأنها تؤمن بأولوية المادة وثانوية الوعي، وهي جدلية لأنها تدرس العالم المادي في حركته الدائمة وتطوره وتجدده، أما المادية التاريخية فهي علم أعم القوانين التي تحكم تطور المجتمع، ومحورها هو تفسير تطور المجتمعات البشرية من التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المشاعة إلى المرحلة الاشتراكية على أساس مادي أي أن أساس التحرك والتطور من مرحلة إلى أخرى هو التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج السائدة في المجتمعات الطبقية مِمَّا يفسح المجال للانتقال من تشكيلة اجتماعية اقتصادية إلى تشكيلة أخرى إلى أن يصل المجتمع إلى المرحلة الاشتراكية (جعنيني، 2004م، صفحة 207 . 208).

و تقوم النظرية الماركسية على عدة مبادئ أهمها:

1 . أنها تعبير عن صراع طبقي ومصالح مادية

2 . المهم ليس فهم العالم بل العمل على تغييره

3. ا لمادة توجه العالم وتفسر التاريخ

4 . التاريخ عند الماركسية عبارة عن صراع بين الطبقات نتيجة عوامل اقتصادية

5 . الاقتصاد وعلاقات الإنتاج هما أساس كل ظاهرة اجتماعية

6 . الدعوة لتغير العالم لصالح الكادحين (البروليتاريا)، مع رفض قاطع للميتافيزيقا

7 . تفسير الأحداث والتاريخ بناء على نظام الملكية

8 . محاربة الأديان واعتبارها وسيلة لتخدير الشعوب، وخادماً للرأسمالية والإمبريالية

9 . الإيمان بأزلية المادة وأن العوامل الاقتصادية هي المحرك الأول للأفراد والجماعات

10 . الأخلاق نسبية وهي انعكاس لآلة الإنتاج

11 . القضاء على الاستغلال الفردي وسحق الفرد (ناصر، 2004م، صفحة 326)

حيث قام ماركس على أساس الظروف المادية بعيدة عن القوى الروحية ومن ثم أسس نظريته الاجتماعية على :

**نظرية المادية الجدلية.**

أن الفكرة الأساسية التي أمن بها ماركس أكثر من أي شخص أخر هي فكرة التغير الجدلي، والتغير الجدلي أساسًا هو التغير الذي ينبع من الصراع بينَ العناصر المتضادة. وهذه العملية الجدلية هي القانون العام الذي يحكم كافة أشكال الظواهر أو الأنساق الموجودة في الطبيعة (عودة، 1995، صفحة 101) والجدلية هي تلك النظرية التي تقرر بأن المادة هي كل الوجود، ، وأن مظاهر الوجود على اختلافها ما هي إلا نتيجة تطور متصل للقوي المادية ، وأن ما هو عقلي يتطور عما هو مادي ولابد أن يفسر على أساس طبيعي .وأول من وضع مبادئ المادة الجدلية هو الفيلسوف كارل ماركس ، ويطلق على هذه الفلسفة أسم المادية الجدلية، لان أصحابها ومؤسسيها يعتقدون أن جوهر العالم هو المادة، والمادة في نظرهم مستقلة، ووجودها سابق على فكرتها، وما الفكر إلا انعكاس لما يقع خارجه في العالم المادي الطبيعي، وفي الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية ((المجتمع )) والحياة السياسية (( نظم الدولة وشؤون الناس )) ، وأكد هؤلاء الماركسيون أن الأشياء والأفكار تتفاعل معاً في حركة جدلية ؛ إلا أن الأشياء المادية سابقه على وجود أفكارنا عنها ، كما أن وجود هذه الأشياء الموجودة أمامنا ولدينا في تغير دائم وتطور مستمر. (نصر، 2004م، صفحة 322) وتقوم المادية الجدلية عند ماركس علي ثلاثة قوانين :

**أولاً . قانون التغير من الكم إلى الكيف.**

يذكر ماركس أن التغيير الحادث في جميع الظواهر الطبيعية والإنسانية، ما هو إلا تغير من الكم إلى الكيف ويتم ذلك التغير الطفرة، أي دون تدريج فانتقال الماء إلى ثلج أو بخار بانخفاض أو ارتفاع تدريجي في درجة الحرارة، إنما يتم طفرة دون حدوث مراحل في عملية التحول. فالتغير التدريجي في الكمية لا يصاحبه تغير تدريجي في الكيف، ويضيف ماركس بأن التغير المفاجئ ليس في علم الطبيعة فحسب ولكنه كذلك في علم الإنسان، بل أن ظهور الإنسان نفسه حدث طفرة أي أن هنالك تحول جذرياً في تطور الكائنات الحية، الذي يبدو من الناحية الكمية تدريجياً.

ويرى ماركس أن هذا التغير المفاجئ أو الطفرة في تطور المجتمع، هو ما نسميه باسم الثورة، فهي من ناحية حصيلة تغير كمي تدريجي ، ومن ناحية أخرى تغير كيفي مفاجئ نحو الوضع الجديد حيث تختفي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية القديمة لتبرز فجأة أوضاع جديدة أي انهيار النظام القديم وظهور جديد مكانة. وانطباق هذا القانون على عالم الطبيعة وعلى عالم الإنسان لا يعني رد الظواهر الاجتماعية خلال عملية التطور التاريخي إلى ما هو فيزيقي ولكن قانون الطفرة سمه عامه في جميع مظاهر الكون: الطبيعة والإنسان.

وهذا يدل بأن حالة الجنس البشري الحاضرة ليست إلا نتيجة سلسلة طويلة من تبدلات دائمة التعاقب، تتولد بمقتضاها كل حالة عن سابقتها . (صبحي، 1995، صفحة 221)

**2 . تداخل الأضداد وصراعها .**

ليس العالم جزئيات منعزلة قائمة بذاتها، ولكن كل ظاهرة تشكل وحدة عضوية يكمن التناقض فيها إذ هي لا تتغير بسبب علل خارجية عنها بل يكمن التناقض والصراع في أعماقها وذلك هو سر التطور. (نصر، 2004م، صفحة 322) ويؤكد ماركس أن التناقض هو القوة المحركة للتاريخ الطبيعي والإنساني معاً، وإن الحركة الإلية لا تتم إلا بوجود الأضداد فعل ورد فعل ، دفع وجذب ....ألخ وأن وجود التناقض والصراع بين الإطراف سواء في عالم الطبيعة أو عالم الإنسان هو سر التطور، وأن طرفي التناقض يستمد كل منهما وجوده من ألأخر .

هذا القانون في إطاره الصوري هو فكرة صراع الأضداد لدى هيجل ويصفه بأنه الروح التي تبعث الحياة في العالمين المادي والروحي على السواء ، صراع باطني داخلي هو مصدر الحركة والحياة والموت (زناتي، 2007، صفحة 106)

**3. قانون نفي النفي .**

يذكر كارل ماركس أن مراحل الحياة في عالم الطبيعة وعالم الإنسان تتضمن سلسلة من نفي إلى النفي ، كل مرحلة تنفي سابقتها ، وليس النفي فناه إنما هو هدم وبناء ، حيث يظهر ما هو أفضل وأكثر تنوعاً ، فحبة القمح مثلاً حين تنمو ويظهر ساقها تتلاشى وتندثر لتظهر حبات كبيرة ، هذا في علم النبتات وهكذا في سائر المجالات لا يتم التطور إلا بتخريب مستمر وتجديد دائم بل كذلك

الأمر في الرياضيات ، كذلك الأمر في التاريخ الاقتصادي . ويضيف ماركس أنه في التاريخ الاقتصادي بدأت الحضارة بالملكية العامة، ثم أصبحت في مرحلة التطور الزراعي عائقاً دون تطور الإنتاج فكان لابد من العودة إلى الملكية العامة في صورة تتمشى مع التطور العلمي.

كذلك نفي النفي في الفلسفة، فكانت الفلسفة القديمة مادية، تعتبر المادة مصدر كل شيء ثم جاءت فلسفة روحية تدعو إلى سيطرة الروح أو النفس على الجسم، وهنا تذهب الماركسية إلى أن الروحانية نفت المادة القديمة ، ثم ظهرت مادية حديثة نفت الروحية . ويمكن القول أن المنطق التاريخي عند أتباع الماركسية غير نابع من الظواهر الطبيعية ، بل يصبح من الحقائق نفسها ، فالرأسمالية هي القضية والديمقراطية هي طابعها ، والبروليتاريا العالمية هي التركيب في صيغة الشيوعية العالمية التي تنبعث منتصرة (صبحي، 1995، صفحة 54).

**نظرية المادة التاريخية:**

وجدت المادية التاريخية أن الطبقات الاجتماعية هي الميدان الذي يتم فيه تطبيق قوانينها هذه، فحركة التاريخ ليست في الواقع سوى التغير، بدرجة تزيد أو تقل عن النضال بين الطبقات الاجتماعية ، سواء أكان هذا النضال في مبادئ السياسة ، أو الدين ، أو الفلسفة ، أم في أي ميدان أيديولوجي أخر ، وأن وجود هذه الطبقات ، وبالتالي الصدام والصراع الذي يحدث بينها ، إنما تحدده درجة التطور الاقتصادي، وأسلوب الإنتاج، وطريقة التبادل . (عبدالحميد، 2006، صفحة 111) وتنسب نظرية المادة التاريخية إلى كارل ماركس ولذا عرفت بالماركسية ، وتقوم نظرية المادة التاريخية على العوامل التالية

**أولا . العمل والإنتاج :**

تدور نظرية المادة التاريخية لكارل ماركس حول تحليل الرأسمالية في الوقت الحاضر ، والتبوء بالشيوعية في المستقبل . وفي ضوء ذلك يفسر كارل ماركس الماضي منذ أقدم العصور التاريخية ، بما يحويه هذا الماضي من بيان نشأة الملكية وتكوين الأسرة في المجتمعات البدائية وبهذا يكون لب نظرية المادة التاريخية ، متمثلاً في العمل والإنتاج أو ما يمكن أن نسميه أساس الحياة الاقتصادية ، وفي هذا يقول ماركس إن طرق أنتاج احتياجات الحياة المادية تكيف المجرى الاجتماعي والسياسي والروحي بصفة عامة ، هذا إلى جانب أن العمل في الماركسية هو السبيل الأمثل الذي يكشف لنا عن أسرار الطبيعة فتصبح محسوسة ومدركة ، ويصبح العالم حقلاً مفتوحاً أمام المصلحة الفردية ومصالح الآخرين ، وأنه لا يمكن فصل الطبيعة عن مضمونها الإنساني بمعنى أنه لا توجد طبيعة بدون الإنسان الذي يراها ، ويلمسها ويتذوقها ويعمل على مظاهرها. (عبيد، 1985م، صفحة 86) هذا وتذهب الماركسية إلى أن هناك شرطاً جوهرياً لكل تاريخ ، هو الإنتاج لإشباع الحاجات الطبيعية ، كما أن الضرورة الأولى في كل نظرية للتاريخ تقضي مراعاة جميع ما في هذه الحقيقة من مضامين وأهمية .

**ثانياً . العامل الاقتصادي:**

يذهب الماركسيون إلى أن العامل الاقتصادي هو أكثر العوامل فاعلة في الأنظمة الاجتماعية ، وإليه ترجع حركة الإصلاح الديني وقيام البروتستانتية ، والثورات الأمريكية والفرنسية ، والحروب الأهلية الأمريكية والحركات الاستقلالية القومية في أوروبا والأمريكتين . ويذكر الماركسيون أننا لو راجعنا الأحداث التاريخية ، لوجدنا أن المعارضة الأساسية كانت ولا تزال محصورة في الصراع الطبقي ، السياسي منه والاقتصادي وأن تاريخ كل ما يوجد حتى ألان من مجتمعات ، إنما هو تاريخ صراعات طبقية ، والتركيب النهائي بين العمل ورأس المال يتم في مجتمع خال من الطبقات ، لا تكون فيه حاجة إلى الدولة باعتبارها سلطة منظمة .

لقد نظر ماركس إلى التاريخ على أنه سجل للصراع بين الطبقات المختلفة في المجتمعات وقد درس التاريخ واستخلص من هذه الدراسة نتائج معينة تدعو لجعل التاريخ بماضية وحاضره ومستقبله ، نظاماً يحمل في طياته مصائر محتومة كالقدر. (الحسن، 2005، صفحة 56) وقد ركزت ماركس على العامل الاقتصادي ، لأنه العامل الذي تسلط على سير العوامل الأخرى. وقد نشر كارل ماركس هذا الرأي في عدة أبحاث دعا من خلالها إلى أحداث ثورة اشتراكية تنفذ أفكاره . ويرى ماركس أن التاريخ يحكمه قوانين حتمية مصدرها حركة التاريخ ذاته ، وما سموه بالحتمية التاريخية .

ويرى ماركس أيضاً أن الوضع الاقتصادي للمجتمع هو الذي يحدد صور نظامه ، ودرجة حضارته وثقافته . وأن الإنتاج ونوعه وأساليبه هو أساس النظام الاقتصادي وأن الإنتاج لا يظل على أسلوب واحد ومستوى واحد ، بل دائم التطور ، ولكن ببطيء . ومن هذا التطور يخرج تطور المجتمع ، سواء من ناحية قوانينه ، أو أفكاره ، أو فنونه ، أو عقائده . وأن الإنتاج المادي لأي جماعة هو الذي يحدد مفهوم نظامها الاجتماعي والسياسي . وأن كل ما يلحق بالمجتمع سواء من ثورات أو انقلابات سببها أوضاع العمل والإنتاج والملكية . وأن النظام السياسي القوي يقوم على نظام اقتصادي راسخ ومتين ، أي إن العامل الاقتصادي هو العامل المؤثر ، الذي يحرك العامل السياسي ويتحكم فيه .

ومن ثم يكون على باحث الظواهر التاريخية في المجتمع أن يفتش عن البواعث الاقتصادية الكامنة وراءها ، خاصة في عصرنا الحاضر ، حيث يلعب الاقتصاد وأساليب الإنتاج دوراً أساسياً ، ولكن الماركسيين يرفضون فكرة الإصلاح التدريجي للمجتمع ، بحجة أنه لا يؤدي إلي نتيجة حاسمة ، فالصراع يجب أن يكون شاملاً وحاسماً عن طريق الثورة ، التي تقضي على القديم تماماً ، وأن ألام الثورة وكوارثها هو الثمن الذي يجب أن يدفعه المجتمع من أجل التغيير الشامل ، حتى وأن كان العنف وسيلة ذلك. (الناصري، 1982م، صفحة 37 . 38)

**ثالثاً ـ الدين:**

يؤكد ماركس أن الدين ليس سبباً ، لكنه غربة الإنسان عن ذاته ، وأنه لابد من اقتلاع تلك الأسباب التي قيدت الإنسان على هذا النحو ، لقد هاجم ماركس الدين لأنه حسب وجهة نظره أخفق في أدراك أن الإنسان هو وليد صلاته الاجتماعية ، والدين عند الماركسيين هو أيضاً إنتاج اجتماعي ... وفسر الماركسيون ذلك بأن الإنتاج أو النشاط المادي للإنسان هو الذي يخلق مجتمعه وصلاته الاجتماعية ، سواء كان هذا في الأرض في ظل نظام الإقطاع أو في المصنع في ظل المجتمع الصناعي الرأسمالي ، ومن هذه الصلات الاجتماعية تتولد المبادئ والأفكار والفئات التي من هذا النوع منتجات تاريخية وعابرة ومتحولة ، تبعاً لتبدل الظروف الاجتماعية. (صبحي، 1995، صفحة 238)

إن الماركسية كذلك لا تعترف بأي إله ، لا بوصفه خالقاً في التاريخ ولا بوصفه عناية ، وأن الدين المنطوي على الإيمان بهذه الأشياء يعد عند الماركسيين خزعبلات تبنتها الأقلية لتستغل الأغلبية ، وذلك بتحويل انتباه الغالبية إلى ما في الحياة الآخرة من سعادة وحسن جزاء ، وقد استولت الأقلية علي مقاليد السلطة الأرضية ، واستمتعت بما احتوته من أفانين الترف التي ينتجها عمل الغالبية. (جري، 1972م، صفحة 238)

**رابعاً ـ العالمية:**

تميزت الماركسية بأنها عالمية ليس للوطنية أو الجنسية فيها اعتبار خاص ، كما أنها دعت البروليتاريا . الطبقة العامة . في جميع أقطار العالم إلى الاتحاد في النضال ، من أجل تحقيق مصالحها المتعارضة مع مصالح الطبقة الرأسمالية . وقد ظهرت هذه الدعوة العالمية في مؤلف ماركس ، الذي شاركه فيه انجلر وصدرت تحت عنوان (( المانيفستو ))أو المنشور الشيوعي ، حيث ختما هذا المنشور بعبارة "يا عمال العالم أتحدوا" .ويعتبر ماركس صاحب الفضل في أنشاء أول نواة للدولة الاشتراكية ، فقد رأس عام 1862م(( جماعة العمل الدولية)) التي اعتبرت بمثابة الدولية الأولى. (الحسن، 2005، صفحة 59)

**فكرة التقدم في المادية التاريخية :**

يعتبر التناقض بين المتضادات من العوامل التي تدفع المجتمع إلى الإمام ، فالتناقض ليس هداماً و بل هو تناقض يعمل على تطور النظم الاجتماعية ، من أدناها (( المشاعية البدائية )) إلى أعلاها (( الشيوعية المعاصرة )) . فكل نتيجة جديدة إذن هي أكثر تقدماً من الحالة السابقة ، التي تولدت عنها هذه النتيجة ، حتى لو بدأت هذه النتيجة كارثية ، فالتوسع الاستعماري لصالح الانتصار الرأسمالي هو حتمية تاريخية ، لأنه خطوة ضرورية للتحول إلى المجتمع الاشتراكي ، مهما صاحب من كوارث وانتهاك للحقوق والحريات . (عبدالحميد، 2006، صفحة 114)

لقد أدرك ماركس خطأه في استنتاجاته التاريخية هذه ، عندما تراجع عن تمجيده السابق للاحتلال البريطاني للهند ، والفرنسي للجزائر ، بدعوى أن هذا الاحتلال هو تطوير ، فتراجع بعد أن اكتشف عدم تحقق هذا التطوير ، فأكد أن نظريته تنطبق على أوروبا

وتاريخها ، ولا يجوز سحبها ميكانيكياً على مجتمعات غير أوروبية, لكن المؤرخين الماركسيين عموماً لم يذعنوا إلى صعوبة المواءمة بين الحقائق التاريخية وبين الايديولوجية التي تبنتها المادية التاريخية ، إلا بعد عهد ستالين المتوفي سنة 1953 . (جري، 1972م، صفحة 238)

**الماركسية والتاريخ الجديد:**

كان للفكر الماركسي أهمية كبيرة فاعتبر من بين العوامل التي مهدت الطريق للثورة ضد (( الطريقة التاريخية )) المثالية، والنظام الماركسي هو المعارض الذي ظهر في الملجأ الأخلاقي للمدعيات الزائفة للمثالية. أما في مضمار تاريخ التاريخ، فأن أهمية الماركسية تقوم

أولاً : وبالدرجة الأولى على حقيقة كونها قدمت بديلاً مقنعا للتاريخية وما قبلته من مثالية ونسبية، في وقت كانت فيه المثالية تفقد حيويتها ، بعد أن تعقدت بمشاكلها الداخلية الخاصة، وقد جرت خلال سنوات ما بين الحربين عدة محاولات ، بما في ذلك تفسير كروتشى للتاريخ بأنه قصة الحرية وفكرة توينبي عن التاريخ بكونه تعاقب ديانات كبرى ، ولم يفلح أي منها بالإقناع ، لأنها جميعاً لم تنجح من تهمة الشخصية والنسبية ، والسبب الرئيسي للتأثير المتنامي للماركسية، هو الاقتناع بأنها قدمت الأساس الوحيد المرضي للتنظيم العقلي لحقائق التاريخ البشري المعقدة أن الماركسية كفلسفة وكنظره عامة أثرت في تفكير المؤرخين بخمسة طرق فبالدرجة الأولي انعكست علي أعادة توجيه البحث التاريخي وأثرت فيه مبعدة إياه عن وصف الحوادث المعزولة، وخاصة السياسية، ودفعته إلى فحص العمليات الاجتماعية والاقتصادية المعقدة والبعيدة المدى .

ثانياً : إن الماركسية جعلت المؤرخين يدركون الحاجة إلى دراسة الأحوال المادية لحياة الشعوب وتاريخ التقنية والأمور الاقتصادية في العلاقات الصناعية ككل، وليس كظواهر منعزلة .

ثالثاً : أن الماركسية أثارت البحث في الدور الذي لعبته الجماهير في التاريخ، وخاصة في فترات الاضطراب الاجتماعية والسياسية.

رابعاً : أن فكرت ماركس عن التفكير الطبقي للمجتمع، وبحثه الصراع الطبقي، كان له تأثير واسع عام على الدراسات التاريخية، كما أنه وجه الانتباه بصورة خاصة إلى دراسة تكوين الطبقات في المجتمع البورجوازي الأول في الغرب (باراكلو، 1984، صفحة 35 . 36) ولا بد هناء من العودة إلى أسس الفلسفة الماركسية، لفهم الصراع الطبقي وتاريخه وتحوله، والاتجاهات الجديدة التي أطلقتها الماركسية.

أ . التاريخ هو تاريخ الصراع بين الطبقات العديدة في المجتمع، في القديم والحديث معاً.

ب . اعتماد فكرة الوعي التي قام بها هيغل ، ونقلها من مستواها الميتافيزيكي إلى المستوى العمالي :علي كل عامل أن يعي وضعه وحالته وحقوقه .

ج . أن أهمية هذا الوعي الاقتصادي ، وللحالة التي يعيشها العمال ، يجب ألا تبقى على المستوي النظري ، أي محصورة بحدود المعرفة . بل يجب أن تتحول إلي قوة فاعلة في واقع الحياة والمجتمع ، لتغيير الواقع وإعطاء العمال حقوقهم .

د . ولكن هذا التحويل للأفكار إلى واقع ، لا يتم بنظر الماركسية ألا بواسطة أمرين هامين : الأول ، يكون في تكتل العمال وتحويلهم إلي قوة عظيمة وفعاله . والثاني هو إطلاق الثورة ، واستعمال العنف لقلب لمجتمع، وقلب النظام والسيطرة على وسائل الإنتاج .

هـ . ولذلك فالثورة تحول الطبقة العاملة إلى طبقة حاكمة، بعد أن كانت طبقة محكومة. (صبحي، 1995، صفحة 59) وأخيراً فأن الماركسية كانت مهمة لأنها أثارت اهتماماً مجدداً قي المفترضات الأولية للدراسات التاريخية وفي نظرية التاريخ عموماً. فالتاريخ عند ماركس هو عملية طبيعية خاضعة لقوانين محدودة كما أنه رواية كونيه كتبها ونفذها الإنسان نفسه. (سبيتي، 2012، صفحة 49 .50)

**تقييم النظرية الماركسية:**

أن أهم ما يمكن توجيهه من النقد لهذه النظرية :

أولاً : أنتقد المسيحيون إهمال الماركسية للدين ، باعتباره العامل الروحي الدافع للحياة الاجتماعية بين الإفراد وتنظيم أمورهم الاقتصادية حيث دعت المسيحية إلى الاهتمام بالفقراء والقضاء على الاستغلال ، والحث عل التعاون والإخاء وتحقيق العدالة الاجتماعية والتكامل الاجتماعي وبذل الجهد ، وكل ذلك في إطار من الأخلاق التي يرضي عنها الله .

كما أنتقد المسلمون أيضاً إهمال الماركسية للناحية الروحية ، ولإضاعة حق الفرد باسم المجتمع ، وهاجموا دعوة الماركسية إلى الثورة بمبادئ معظمها نادى بها الإسلام ، ودعاء إلى الأخذ بأسلوب تدريجي سلمي . يمنع استغلال الإنسان للإنسان، والإسلام يدعو إلى التكافل بين المسلمين ، والإسلام يفضل العمل الجماعي على العمل الفردي ، والإسلام لا يحرم الملكية الخاصة المبنية على الفطرة وحب التملك ، بشرط أن يؤدي ما عليه من زكاة .

كما أن الإسلام يعتبر الملكية أمانة في يد الفرد ، والإسلام يدعو الأغنياء على التصدق من مال الله الذي أتاهم ، ويحرم الربا حتى لا يستغل الإنسان حاجة أخيه الإنسان ، وكل ذلك يتم بأسلوب سلمي دون عنف . (الحسن، 2005، الصفحات 59 ,60)

ثانيا : أن الماركسية تجعل قوى الإنتاج أساساً للحركة التاريخية ،وأهم ما في قي الإنتاج وسائل الإنتاج كالفأس الحجرية والمحراث الخشبي والطاحونة الهوائية المضخة البخارية والآلة الكهربائية ولم تظهر هذه الأدوات إلا نتيجة لتفكير الإنسان وإرادته وتصميمه ولذا يقتضي الأمر على عكس المسألة واعتبار الفكر الإنساني هو المحرك الأول للتاريخ لأنه هو الذي يصنع أدوات الإنتاج ويسير قواه. وعقل الإنسان يمتاز بالذكاء والتبصر وهذا ما جعله قادراً على خلق حضرة بتغيير المحيط والسيطرة عليه . (الدور، د . ت، صفحة 38)

ثالثاً : ومن أبرز ما قاله النقاد في النظرة المادية في التاريخ : يعتقد ماركس أن أفكار واتجاهات أنما هي نتاج مرحلة التطور الاقتصادي التي تم التوصل إليها ، ولذلك لا يوجد قانون مطلق أو أخلاق مطلقة في هذا العالم ، وإنما هذه كلها انعكاسات لأسلوب الإنتاج . ولكن في هذه النظرية تناقض خطيراً .. فماركس لا يرى من ناحية شياً أبدياً ، ومن ناحية أخرى يعرض فكرته عن التاريخ على أنها مطلقة ، وهذا تناقض واضحاً . فنحن إذ نعتقد أن فلسفة عصر ما ناتجة عن بيئته المادية ، فهذا ينطبق أيضاً على الماركسية نفسها ...فأفكار ماركس لا يمكن أن تكون صحيحة ومنطقية ومنطبقة على كل الأزمنة ، لأنها هي أيضاً انعكاس للعصر الذي عاش فيه ...فلا بد أنه قد كان في ذهن ماركس ظروف المجتمع في ذلك عصر ، وكل ما جاء به ربما كان ملائما لزمنه هو ،ولا يمكن بعد زمانه ذلك أن يكون صالحاً للعصور التي تلته ...فمع تغير الزمان ، لابد لفلسفته أن تغير ، ولكن، لا يوجد ماركس واحد مستعد لأن يقبل بهذا ، فهم يعتقدون أن نظرته صحيحة في كل الأزمان ، أي أنها قيم دائمة للمجتمع لا تتغير . (زناتي، 2007، صفحة 112)

رابعاً : إيمان الماركسية بحتمية حدوث صراع بين قوى المجتمع وطبقاته ، وأن الصراع القائم الآن بين الرأسمالية كطبقة ممتلكه والبروليتاريا كطبقة عامة ، سينتهي حسب استنتاج ماركس من دراسة التاريخ ، لصالح الطبقة العامة ، التي ستقيم مجتمعاً شيوعياً سيكون هو أخر مراحل التطور البشري .

ولكن كيف يتفق هذا مع قول ماركس بان كل نظام يحمل في طياته بذور فنائه ،أو بذور نظام أخر مضاد له ؟ وكيف يتفق هذا مع أن المجتمع لا يتوقف عن التقدم والتغير ، وكيف يتفق التفسير القائم على أن العامل الاقتصادي هو سبب التطور إلى المجتمع الشيوعي ، وأين العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية والروحية ؟.

خامساً : أهملت الماركسية أثر الناحية الأخلاقية في تكييف التطور الاجتماعي وتوجهه ، كما أسرفت في وصف بؤس الطبقة العامة ، في الوقت الذي أخذت فيه الدول الأوروبية تعمل على أصلاح أحوال هذه الطبقة . (حسن، 2005، صفحة 60)

سادساً : يسود الماركسية منطق الحتمية القاسية التي تتقدم فيها حرية الإرادة الإنسانية ، فالقوى الاقتصادية أقوى من إرادة الطبقات .

سابعاً : إن الماركسية واحدية في التفسير التاريخي ، إذ تجعل العوامل الروحية والفكرية تابعة للعامل الاقتصادي وهي بذلك تغفل الصفة للواقعية التاريخية .

ثامناً : عرض ماركس وانجلر المادية التاريخية باعتبارها تفسيراً لوقائع التاريخ ، وتحليلاً عملياً له ومع ذلك تخلط الماركسية بين عالم الواقع وعالم القيم ، فبالرغم من أنها تنتقد الرأسمالية علي أساس ما تتضمنه من متناقضات ، لا على أساس ما يلحق بالعمال من ظلم ، وإنها تبشر بالشيوعية باعتبار المجتمع الشيوعي هو المجتمع الذي تتحقق فيه السعادة للإنسانية فإن الماركسية تمنح العمال أمل تحقيق الفردوس على الأرض ، وهذه نبوءة أخلاقية تذرعت بها الماركسية بأسس ادعت أنها أسس علمية موضوعية . (صبحي، 1995، صفحة 240 . 241)

لقد أنتقد كثيراً من المؤرخين الماركسية ونظريتها في الثورة الشاملة والعنف الثوري ، لأنه في كثيراً من البلدان نجحت فكرة الإصلاح التدريجي الهادي ، ووفرت على هذه المجتمعات الكثير من دما الثورة وخرابها ، بل أن هذا النقد جاء من الماركسيين أنفسهم فيما يعرف بالماركسية الجديدة ، أو الاتجاه الجديد للماركسية .كما أنتقد آخرون فكرة العامل المادي أو الاقتصادي في التاريخ ، ويقولون أن العامل السياسي هو الأقوى والأرسخ ، وأنه أذا كان العامل السياسي راسخاً وقوياً ، فان الاقتصاد فيه يكون راسخاً وقوياً ، وليس العكس . (الناصري س.، 1982، صفحة 37 . 38)

**الخاتمـــة والنتائج**

أراد هذا البحث أن يحيط بالنظرية الماركسية، وبفضل ما توفر من مراجع تمكن من إلقاء بعض الأضواء على هذا الموضوع لإزاحة الستار عن أي غموض والتباس، وقد خلص إلى العديد من النتائج منها:

1. إن التاريخ علم لا يقل أهمية عن باقي العلوم.
2. التاريخ مرآة الأمم يعكس ماضيها، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها.
3. يمثل التاريخ مجمل الخبرة الإنسانية في جميع مراحلها الحضارية والثقافية والسياسية والمدنية.
4. الشعوب التي لا تاريخ لها لا وجود لها، إذ به قوام الأمم، تحيى بوجوده وتموت بانعدامه.
5. البحوث في ميدان التاريخ لم تتوقف ولن تتوقف؛ نظرًا لارتباطها بحاضر البشرية ومستقبلها.
6. على الرغم من نجاح النظرية الرأسمالية إلا أن النظرية الماركسية قد تترك بصمتها

في أكبر دولة العالم وخير مثال على ذلك الصين، حيث تركت إسهامات كارل ماركس وأنصاره أثرا كبيرا في الفكر الإنساني و دراسته للمشاكل الواقعية في العصر الحديث.